الافتـــراش في مكـــة والمشاعـــر

دراسة ميدانية اجراها

د٠ابو بكر احمد باقــــادر

١٤٠٩هـ

(يشكر الباحث كل من ساعده في القيام بدراسته ويود ان يخص بالذكر الحجاج الذين تعاونوا معه فى اجراء الدراسة والطلاب الباحثين الذين قاموا بجمع المعلومات ومركز أبحاث الحج وادارته والاساتذة فهد عبد الباقي وسعيد باقادر وشاكـــر سمكري وغيرهم ٠ يقول لهم جميعا جزاكم الله خيرا وأثابكم على حسن صنيعكم)٠

الافتراش في مكة والمشاعر

ربما كان عنوان هذه الدراسة فى حاجة لتوضيح وتفسير ، حتي يدرك القارئ المقصود من هذا العنوان . وعلينا ان نستدرك ، وعلى عجل ، اننا لم نضع هذا العنوان من أجل لفت النظر أو جلب الاهتمام. فنحن هنا ، فى الواقع ،حينما نعالج موضوع افتراش الارض والتحاف السماء لسنا بصدد مجموعة من المتسكعين ككلوشار باريس اوهوبو المدن الكبرى في اجزاء كثيرة من ارجاء العالم ، اى اننا لاندرس ظاهرة تتعلق بمزاج أو نفسية ماترتبط بسلوك معين ازاء الحركة والمكان. ذلك لأن الخواص التى تتميز بها هذه المجموعة الاجتماعية لاتنطبق على من تستهدفهم الدراسة . كذلك فاننا لانتوجه بالاهتمام والدراسة لمجموعة من الرحل الذين رتبوا حياتهم الاجتماعية على ذلك سواء كانوا فى خارج المدن كالصحراء او البراري كالبدو أو في داخل المدن كالغجر او النور ممن لهم أمثلة في غالبية مجتمعنا العربية المسلمة.

على العكس من هذا كله ، اننا بصدد دراسة مجموعة ـ كما سيتضح لنا في هذه الدراسة ـ من سكان الحضر والمدن الصغيرة وبعض سكان القرى الوافدين لأداء مناسك الحج والذين لأسباب عديدة ـ ستتعرف عليها ـ اضطروا في أوقات محدودة سكن الشوارع والساحات . ولما كانت الحياة الحضرية تتطلب ـ بالضرورة ـ حدا أدني من المرافق والخدمات وشيئا من الخصوصية لايمكن ان توفرها الشوارع والساحات بأي حال ، فهي ليست معدة لها . اضافة الى ان الحياة التى اعتادتها المجموعة المدروسة لاتمكنها من حياة التسكع التى قد تناسب فئات حضرية شاذة موجودة في معظم مدن العالم الرئيسية ـ كما ذكرنا ـ مما يعنى ان هذه المجموعات لو اضطرت لافتراش الشوارع والساحات والميادين فأنها ستحاول جاهدة ان توفر الخدمات والمرافق التى ترى انها ضرورية لحياتها الحضرية

المؤقتة فى مكة والمشاعر المقدسة. ان توفر هذه الخدمات سيعنى تحويل هذه الشوارع والساحات الى وظيفة تغاير وظيفتها بل وتعطلها وتحولها الى مايشبه ان يكون فندق في الهواء الطلق مما سيكون له تبعاته على المفترشين من ناحية، وعلى الخدمات الضرورية بالمدينة مما قد يؤدى الى تعطيل الشوارع والساحات عن أداء وظيفتها.

لكننا وقبل ان نسترسل فى وصف المظاهر العامة لهذه الظاهرة، ربما كان من المفيد ان نتعرف على المصطلحات الأساسية التى نحن بصدد التعرض لها في الدراسة وان نحدد مشكلة البحث واطارها حتى يتمكن القارىء الكريم التعرف على المشكلة ومن ثم يدرك ماسنصل اليه من نتائج وتوصيات.

ونقصد بالافتراش استخدام الأرض (وبالذات الشوارع والطرقات والميادين والساحات العامة .. الخ) للسكنى بما يخالف الوظيفة التى خصصت لها ، بل وبما قد يؤدي الى عرقلة وتعطيل ادائها للوظيفة المفترضة لها ، مما قد ينجم عنه الحاق اضرار عامة بالحياة الحضرية.

وبناء على هذا التعريف فأننا نقترح وجود انواع عديدة من الافتراش من أهمها :

<u>أ. افتراش معيق وظيفيا :</u>

وهو ذلك الافتراش الذى يؤدى مباشرة الى تعطيل الوظيفة او الوظائف الاساسية للشوارع والطرقات والميادين والساحات. والى الحاق اضرار بنسق الحياة الحضرية بسبب هذا التعطيل مما قد يؤدى الى بعض الكوارث او الازمات ، خاصة في ظل الظروف الاستثنائية التى صمم النسق الحضرى للتعامل معها بشرط عمل كافة انظمته المختلفة كما هو مطلوب منها.

ب . افتراش غير وظيفي :

وهو ذلك الافتراش الذى يقوم أساسا على استخدام معطل للاستخدام الأمثل للحياة الحضرية لكنه لايؤدى الى تعطيل النسب الحضرى بحيث يتوقع حدوث كوارث أو ازمات . وذلك لوجود اختيارات اخرى قد تساعد عند الضرورة كبدائل او مساعدات تعمل على الحفاظ على استمرارية وتماسك النسق .

ج . افتراش وظيفي :

وهو ذلك الافتراش الذى يسعي له النسق الحضرى من خلال التجهيز والاعداد له بما يكفل للمفترشين التمتع بالحد الأدني من الخدمات والمرافق الضرورية لهم . وهو افتراش لايعيق اى من الوظائف التى تقوم بها الشوارع والساحات والميادين . اليست السكنى فى عرفات ومني افتراش منتظم يشبه ماتراه في مناطق المخيمات !

ويحدد أنواع الافتراش محددات عديدة من أهمها : مركزية ووظيفة المكان المفترش ، فكلما كان الموضع في منطقة مركزية وحيوية كلما أدى الافتراش الى وقوع اختناقات وتعطيل فى الحركة مما قد يؤدى الى وقوع مشاكل عديدة . اما مايتعلق بوظيفة الموضع فاذا ماكان الموضع ، مثلا موزع للحركة ، فأن الافتراش يؤدي الى تكون عنق زجاجة مرورية مما يؤدى الى التعطيل . كذلك فان هنالك عوامل جذب تزيد من مغريات الافتراش ، فاذا ماتوفرت فى الموضع الخدمات والمرافق (الطعام والشراب والحمامات والاسواق ..الخ) اضافة الى القرب من الاماكن المستهدفة او المطلوبة لاتمام مشاعر الحج ، على سبيل المثال ، كلما كان ذلك مدعاة لزيادة الاعداد المتوجهة اليه . بطبيعة الحال قد تكون هنالك عوامل طرد تجعل المفترشين يبتعدون او يتجنبون افتراش مناطق معينة .

ونظرا لتكرر ظاهرة الافتراش فى مكة ومنى اثناء مواسم الحج لسنوات متتالية . ونظرا لما قد يترتب على ذلك من مشاكل سنأتي على

ذكرها لاحقا - فلقد اهتمت السلطات بهذه الظاهرة وكلفت مراكز الابحاث المعنية بدراسة الظاهرة علميا لتتمكن من اتخاذ القرارات الصحيحة حيالها .

ولقد قام اكثر من فريق بحث من مركز أبحاث الحج بدراسة الظاهرة . فلقد قام فريق بدراسات عن الحجاج الذين ليس لهم مساكن نظامية ، حيث تم التركيز على الحجاج الذين ينامون في الطرق والشوارع دون مأوى مع عدم توفير اماكن لهم للاغتسال وقضاء الحاجة أو وجود تجهيزات مناسبة تمكنهم من اعداد طعامهم ، اضافة الى انهم يشغلون الاماكن المخصصة المشاه مما يضطرهم الى السير فى عرض الطرقات والشوارع فيعرضهم للأخطار مما يسبب ارتباك حركة المرور . ولقد وضحت هذه الدراسة ، التى اجريت عام ١٤٠٠هـ - ان غالبية هؤلاء الحجاج المفترشين هم من حجاج الداخل من العمالة التى تعمل داخل المملكة .

ولقد قام فريق آخر من المركز باعادة الدراسة على مفترشي مكة (جوار الحرم المكي الشريف) ومنى في عام ١٤٠٣هـ واهم ماتوصلت اليه هذه الدراسة مايلي :

" لاحظ الفريق البحثي ان المنطقة المحيطة بجسر الجمرات هى اعلى المناطق التى يتركز فيها الحجاج المفترشون ، وتعانى هذه المنطقة من ظروف بيئية وصحية سيئة ، ويواجه الحجاج المفترشون فيها مشاكل عديدة لأنها منخفضة بالنسبة الى المناطق المحيطة بها ، ومزدحمة بدرجة كبيرة وتتجمع فيها الصرف المتسربة من المناطق الاخرى حيث تختلط مع النفايات والقمامة مسببة مشاكل صحية ومعيشية كثيرة ."

هذا ولقد قام المركز بالتوثيق المصور لعملية الافتراش لسنوات عديدة ، سواء كان هذا التصوير بالفيديو او بالتصوير الفوتوغرافي ، بحيث تكونت صورة أولية تمكن من دراسة الظاهرة بصورة متعمقة ستساعد

علي التوصل الى توصيات يمكن ان تقوم عليها سياسات ازاء هذه الظاهرة.

ولقد قام الباحث الرئيسي لهذه الدراسة ، بعد الاعتماد على الدراسات السابقة والاستفادة منها اضافة الى قيامه بنفس الدراسة في عام ١٤٠٧ هـ من خلال دراسة عينة من (٩٠٢ حالة) . ولقد وجهت للدراسة بعض الانتقادات والتى حاولت تجنبها في هذه الدراسة التى بين أيديكم.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى تحقيق جملة أهداف أهمها :

أ. التعرف على هوية المفترشين : جنسياتهم/اعمارهم/ تعليمهم/ فهمهم/ دخولهم الشهرية ، بالاضافة الى نوعية السكن الذى تعودوا عليه في بلدانهم أو مدنهم التى قدموا منها.

ب . التعرف على اماكن الافتراش واسباب اختيارها والكيفية التى تم عن طريقها الافتراش .

ج . مدى تحقيق الافتراش الشروط الاولية للسكن في سياق حضري ومدى ملائمة هذه الحياة للمفترشين .

د. التعرف على المشاكل التى يعاني منها المفترشين من جراء افتراشهم لمناطق غير معدة لسكنهم وماقد يترتب على ذلك من مشاكل واخطار صحية وافية.

هـ . التوزيع المكاني والنوعي لمناطق الافتراش وعوامل الجذب والطرد في عملية الافتراش .

و. التعرف على تقييم المفترشون لتجربتهم ومدى تكرارها لأعوام قادمة.

المنهج وطريقة جمع المعلومات :

ستعتمد الدراسة علىمنهج المسح الميداني كطريقة لجمع المعلومات الأولية عن طريق اجراء مقابلات مباشرة مع المفترشين فى أماكن الافتراش معتبرة كل من يقضى وقتا في شكل سكن فى احدى الشوارع أو الساحات أو الميادين من المفترشين ومن ثم من شامله الدراسة . هذا وتتم المقابلات مع المفترشين على اساس استمارة تأكدت صلاحيتها من ناحية الصدق والثبات عن طريق استخدامها في العام الماضي وتجريبها على عدد من الحجاج قبل طبعها لهذا العام ايضا . كذلك سيستخدم الباحث طريقة الملاحظة والمشاركة الميدانية في دراسةوتحليل الظاهرة وذلك عن طريق زيارات ميدانيةمتكررة والحديث مع بعض المفترشين بصورة مستفيضة. هذا ولقد تم تسجيل جوانب عديدة من جوانب الظاهرة بالفيديو والشرائح الفوتوغرافية .

اما الاطار النظري الذى تبناه الباحث في توجهاته لدراسة الظاهرة فهو النظرية الوظيفيةوالتى تؤكد على وجود نسق تتحدد داخل انظمةمتبادلة الاعتماد على بعضها ويقوم كل نظام منها بوظائف شتى وتداخل وتكامل وظائف هذه الانظمة فيما بينها هو مايقوم عليه النسق الكلي في شكل توازن ، وان أي خلل أو تفكك أو تعطل لواحد من هذه الوظائف ربما أدى الى احداث خلل بالانظمة الاخرى ومن ثما خلل او تعطل النسبق الكلي وافتقاده لتوازنه ، مما يفرض ـ بالضرورة ـ ضرورة وجود تدخل خارجي يعيد الى النسق توازنه .

وسننطلق في دراستنا هذه على اعتبار النسقالحضرى النسق الكلي وتعمل الشوارع والحركة المرورية والمرافق والخدمات العامة وغيرها من مكونات النسق الحضري كأنظمة تتعاون فى توازن النسق ككل ومن ثما أي خلل أو عطل فى واحد من هذه الانظمة أو استخدامه في غير وطيفته المخصص لها سيؤدى الى تعطيل الانظمة الاخرى المعتمدة عليه وبذلك يفقد النسق

توازنه ، ويصبح فى حاجة ماسة لتدخل خارجي يعيد عليه هذا التوازن ، أما على اساس اعطاء الانظمة المختلفة المكونة للنسق وظائف جديدة أو عن طريق التخلص من العوامل المعطلة للأنظمة .

طريقة التحليل :

سيعتمد البحث على طريقة التحليل الاحصائي فى معالجة البيانات والمعلومات التى تم جمعها ميدانيا وذلك عن طريق تبويب وتصنيف هذه البيانات فى شكل جداول تكرار واستخلاص فكرة وصفية عن العينة - سنذكر جانبا عن طريقة اختيارها بعد قليل - اضافة الى استخدام بعض المؤشرات الاحصائية كالمتوسط والوسيط والانحراف المعياري لوصف ماهو سائد . ثم بعد ذلك سيتم عرض بعض الارتباطات بين متغيرات مستقلة على بعض جوانب الظاهرة لدراسة مدى تأثيرها على بعض عليها*. اضافة الى ان البحث سيقدم بين ثناياه العديد من الملاحظات الاثنوجرافية معتمدا على ماقام به الباحث من زيارات ميدانية استخدم فيها منهم الملاحظة والمراقبة .

عينة البحث :

يصعب فى دراسة ظاهرة كظاهرة الافتراش تحديد اطار المعاينة الكلي اذ ان شامله البحث متغيرة وبسرعة ، فهي تختلف بحسب ساعات النهار، وذلك بحسب وجود الظل وأداء المناسك وغيرها من عوامل ، وهي تختلف من يوم لآخر ومن منطقة لأخرى . مما يجعل اي تقدير لعدد المفترشين مرتبط بالضرورة بهذه العوامل المتغيرة والتى لايمكن ضبطها أو السيطرة عليها . اضافة الى ان المفترشين غالبا مايكونوا في شكل مجموعات ، سواء افترشت المنطقة التى تسكن عليها في شكل جماعة أو انها تعرفت على بعضها

---

* (وجد الباحث بعد انتهاءه من كتابة التقرير ان عرض جداول الارتباطات ستشغل التقرير دونما اضافة تذكر لذا لم يوردها) .

بعد الافتراش ، ويؤدى هذا ـ كما لاحظنا ميدانيا ـ الى ان تكون اجابات المفترشين متطابقة لحد كبير في مابين افراد كل مجموعة ، ولايفترقون سوى فى البيانات الشخصية ـ كالعمر والمهنة والتعليم والدخل ، مما يعني ان الباحث قد يكتفى بواحد من المجموعة على اعتباره ممثلا لغيره ٠

هذا ويمكننا اجمالا تحديد مناطق معينة حول الحرم المكي وفي وادي منى باعتبارها من المناطق التى لاتكاد تخلو من مفترشين وهذه الاماكن هي : فى مكة (الانفاق الموصلة بين السد والصفا وساحة سوق الصغير وتحت كبارى اجياد وخاصة الكبارى القريبة من مستشفى اجياد بالاضافة الى المناطق المحيطة بالحرم المكي والداخل في اطاره العام ٠ اما في منى فهى كبرى الجمرات وكبرى المشاه وبعض الشوارع المحيطة بمنطقة الجمرات ، بالاضافة الى مسجد (نمرة) ٠ هذا وسنتحدث عن كل واحد من هذه المناطق وتوزيع المفترشين فيها لاحقا ٠ وكما ذكرنا يصعب تحديد عدد اجمالى للمفترشين على أنهم لايقلون عن ثلاثة آلاف مفترش فى مكة ولايقلون عن تسعة آلاف مفترش في مني ٠

ولقد حاولت الدراسة ان تكون المجموعة المدروسة "العينة" منمناطق الافتراش المختلفة ضمانا لعدم التحيز وكذلك حاولت الدراسة التوجه لكافة الفئات العرقية أو الجنسيات ٠ وعينة البحث بلغت (١٢٦١ حالة) وتعتبر أحصائيا عينة مقبولة وكافيةلاجراء الدراسة٠

١٠من هم الحجاج المفترشون للشوارع والميادين فى مكةالمكرمة ومني :

لقد قام فريق البحث بدراسة ميدانية تم خلالها مقابلة العديد من الحجاج المفترشين وذلك للتعرف عن كثب على جنسيات الحجاج واعمارهم والمستويات التعليمية والمهنية والدخل الشهرى الذى يتقاضونه ٠اضافة الى مكان اقامتهم الدائمة والاماكن التي تعودوا على السكن فيها٠ وعلينا

ان نؤكد قبل البدء في عرض وتحليل البيانات التى تم جمعها ان العينة على الرغم من حرصنا على تمثيلها للمفترشين المدروسين لايمكن ان تعطي الصورة الواقعية للأرقام الفعلية للحجاج المفترشين وذلك للأسباب التي جئنا على ذكرها آنفا ، اضافة الى ميلنا الى تنويع المقابلات التي أجريناها مع الحجاج من مختلفي الجنسيات ومدى تعاون أو عدم تعاون بعض فئات وجنسيات الحجاج معنا ، على أننا سنكمل هذا النقص من خلال الملاحظات والتعليقات العديدة التي تعتمد على ملاحظاتنا الميدانية .

١- جنسيات الحجاج المفترشين فى مكة ومني :

يتضح لنا من الجدول (١) ان غالبية الحجاج المفترشين في مكة المكرمة هم من الحجاج السوريين والسودانيين والذين تراوحت نسبهم بالترتيب (٢٧٪) و (٢٥٪) وهؤلاء في الواقع من الحجاج الوالفدين من خارج المملكة ثم يلى هذه المجموعة الحجاج المصريين (١٩٪) الذين كانوا يشكلون في العام الماضي نسبة أعلى من بين المفترشين فى مكة .وتكاد الصورة نفسها تتكرر في منى حيث نجد أن هذه الجنسيات الثلاثة هي الأكثر ظهورا في العينة . ولقد لاحظنا ميدانيا ان هذه الجنسيات الثلاثة لاتشكل اغلبية العينة التى درسناها وانما أيضا تنفرد عن الجنسيات الاخرى بأنها تتكتل في مناطق معينة . فالسودانيين والسوريين ، مثلا ، يفترشون منطقة ماتحت الكباري الواقعة بين مستشفى اجياد والقصور الملكية اما المصريين فهم موجودون في النفق الذى ينتهى الى دار الارقم فى الصفا ،بالاضافة الى بعض المناطق المحيطة بالحرم المكي وفى ساحة السوق الصغير. (وفي الواقع يكاد يكون وجود المصريين المفترشين فى معظم المواسم " الدينية " ملحوظا) . اما فى منى فان الجميع موجودون فى منطقة كباري الجمرات وكباري المشاه.

هذا ونلاحظ ان الحجاج الوافدين من جنسيات اخرى موجودون ولكن باعداد متواضعة ، على ان من ابرزهم الحجاج اليمنيين والباكستانيين، والذين ربما كانوا من العاملين في المملكة. أما بقية الجنسيات فهي في الغالب مجموعات صغيرة لاتمثل تيارا واضحا يتطلب الاشادة والابراز.

جدول رقم (١)

توزيع عينة الحجاج المفترشين في مكة ومنى

بحسب جنسياتهم لحج عام ١٤٠٩هـ

الجنسية	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٠١ مني	٥٠	١٠ر٤	٦٨	٨ر٧	١١٨	٩ر٤
٠٢ سوري	١٣٠	٢٧ر١	٩٠	١١ر٦	٢٢٠	١٧ر٤
٠٣ سوداني	١١٩	٢٤ر٨	١٧٤	٢٢ر٤	٢٩٣	٢٣ر٢
٠٤ صومالي	٥	ـر١	٨	ـر١	١٣	ـر١
٠٥ اندونيسي	٥	ـر١	٧٥	٩ر٦	٨٠	٦ر٣
٠٦ مصري	٩٣	ـر١٩	١٧٥	٢٢ر٥	٢٦٨	٢١ر٣
٠٧ سعودي	٢	٠ر٤	٦	٠ر٨	٨	٠ر٦
٠٨ باكستاني	٤٢	٨ر٧	٤١	٥ر٣	٨٣	٦ر٦
٠٩ الغاني	٦	١ر٢	–	–	٦	٠ر٥
١٠ تركي	١	٠ر٢	٢	٠ر٣	٣	٠ر٢
١١ عراقي	٢	٠ر٤	١	٠ر١	٣	٠ر٢
١٢ اردني	٥	ـر١	١٣	١ر٧	١٨	١ر٤
١٣ بنغلاديشي	٧	١ر٢	٥٢	٦ر٧	٥٩	٤ر٧
١٤ افغاني	٩	١ر٩	٩	١ر٢	١٨	١ر٤
١٥ هندي	٧	١ر٥	٤١	٥ر٣	٤٨	٣ر٨
١٦ دول افريقية	–	–	٢١	ـر٣	٢١	١ر٦٧
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

٢٠أعمار الحجاج المفترشين في مكة ومني :

يتضح لنا من الجدول (٢) ان متوسط عمر الحاج المفترش في مكة ٤٣٫٩٣١سنة والانحراف المعياري ٠٫٤٩٦ وبوسيط قدره ٤٣٫٥ سنة ٠اما متوسط الحاج المفترش في مني ٤٢٫٨٠١ سنة وبانحراف معياري ٠٫٣٩٣ ووسيط قدره ٤٠٫ـ سنة ٠ وفى الواقع متوسط الحاج المفترش اجمالا هو ٤٣٫٢٢٨ سنة وبانحراف معياري قدره ٠٫٣٠٧ ووسيط ٤٢٫١ سنة ٠

هذا ويتضح ان غالبية الحجاج هم ممن تتراوح اعمارهم بين(٣٦–٥٠)سنة اما من هم دون ذلك أو اكبر من ذلك فنسبتهم تكاد تكون واحدة فى مكة أما في منى فترجح كفة من هم دون سنة (٣٦–٥٠) سنة عن من هم أكبر من (٥٠) سنة على ان الغالبية ماتزال ممن تتراوح اعمارهم بين(٣٦–٥٠)سنة٠ وهذه النتيجة تتطابق مع ماتوصلنا اليه في دراستنا في العام الماضي ، اضافة الى انها منطقية مع اعمار الحجاج الذين يفدون الى الحج والقادرين على تحمل متاعب الافتراش٠

جدول رقم (٢)
توزيع عينة الحجاج المفترشين فى مكة ومنى
بحسب العمر لحج عام ١٤٠٩هـ

فئة العمر	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) ٣٥سنة فما دون ذلك	٩٩	٢٠٫٦	٢١١	٢٧٫١	٣١٠	٢٤٫٦
٢) ٣٦ – ٥٠ سنة	٢٨٨	٥٩٫٤	٤٢٧	٥٤٫٩	٧١٥	٥٦٫٧
٣) اكبر من ٥٠سنة	٩٦	٢٠٫ـ	١٤٠	١٨٫ـ	٢٣٦	١٨٫٧
المجموع	٣٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

٣ـ المستوى التعليمي للحجاج المفترشين :

يتضح لنا من الجدول (٣) ان متوسط تعليم الحاج المفترش في مكة القراءة والكتابة وكذلك هو الحال في منى ،حيث نجد ان نسبة الحجاج الاميين في مكة (٣٨٪) ومن يقرأ ويكتب لكن دون حصوله على شهادة رسمية (٢٧٪) بل ان من حصلوا على المرحلة الابتدائية (١٧٪) بمعني ان من هم من حملة الابتدائية فما دون تبلغ نسبتهم (٨٢٪) ويتكرر الوضع نفسه في منى . على اننا نجد بين المفترشين بعض ممن حصلوا على تعليم ذى متوسط راق سواء الى المرحلة الثانوية أو الجامعية ، ويبدو ان هؤلاء المفترشين ، على الرغم من تذمرهم من وضعهم كمفترشين ، انما قاموا بعملية الافتراش لأسباب تتعدى مسألة الجهل بالحياة الحضرية .

جدول رقم (٣)

توزيع عينة الحجاج المفترشين فى مكة ومنى

بحسب المستوى التعليمي لحج عام ١٤٠٩هـ

المستوى التعليمي	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١ـ امي	١٨٢	٣٧ر٩	٢٤٣	٣١ر٢	٤٢٥	٣٣ر٧
٢ـ يقرأ ويكتب	١٣٣	٢٧ر٣	٢١٧	٢٧ر٩	٣٥٠	٢٧ر٨
٣ـ تعليم ابتدائي	٨٠	١٦ر٧	١٠٧	١٣٠٨	١٨٧	١٤ر٨
٤ـ تعليم متوسط	٥٠	١٠ر٤	٨٧	١١ر٢	١٣٧	١٠ر٩
٥ـ تعليم ثانوى	٢٠	٤ر٢	٦٦	٨ر٥	٨٦	٦ر٨
٦ـ جامعي	١٨	٣ر٥	٥٨	٧ر٥	٧٦	٦ر ـ
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

٤ـ جنس الحجاج المفترشين :

يتضح لنا من الجدول (٤) ان غالبية المفترشين هم من الذكور ،على

ان الارقام التى توردها عينة البحث ربما لم تكن تصور الواقع تصويرا دقيقا حيث ان كل الباحثين الميدانيين من الذكور مما حال ، بطبيعة الحال، عن مقابلة اعداد اكبر من النساء، اضافة الى ان الحجاج الذين تكون معهم عوائلهم غالبا مايفضلون ان يسكنوا داخل خيام حفاظا على حرمة وراحة نساءهم .

الجدول رقم (٤)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب الجنس
لحج عام ١٤٠٩ هـ

الجنس	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٠١ ذكر	٤٣٤	٩٠ر-	٦٩٨	٨٩ر٧	١١٣٢	٨٩ر٨
٠٢ انثى	٤٩	١٠ر-	٨٠	١٠ر٣	١٢٩	١٠ر٢
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

٠٥ مهن الحجاج المفترشين :

يتضح لنا من الجدول (٥) ان (٤١ر٧٪) من المفترشين فى مكة ممن يشتغلون بالزراعة وحوالى (١٢٪) من الحرفيين ومثلهم من الموظفين ومن الذين يعملون اعمال حرة ومن يعملون كتجار و (٨٪) من العاطلين عن العمل وتتكرر الصورة نفسها مع اختلاف فى النسبة المئوية في منى٠أي ان غالبية المفترشين هم اما من السكان الريفيين أو من فقراء المدن أو من الدرجات الدنيا من الطبقة الوسطي فيها ٠ وواضح من هذه النسب ان العطالة ليست سببا كافيا للافتراش ، وان كان يمكن تفسير افتراش فئة لاتتعدى (٨٪) على اساسها ، وربما يعود ذلك الى ان استحصال الاوراق الضرورية للحج تتطلب عمل ودخل ثابتين تمكن الفرد من الحصول على الحد الادني للاستطاعة والقدرة

علي القيام بالحج ومتطلباته المادية . على اننا نرى ان الخلفية المهنية للحجاج المفترشين توضح قدرا لابأس به من قدرتهم ورضاهم لنفسهم بالافتراش فالمزارع، مثلا ، ميال الى الالتصاق بالارض وتحمل شظف العيش لذلك ربما لايبالي كثيرا بالافتراش وربما لاتبتعد الحالة كثيرا للحجاج الحضر الوافدين من بيئات معدمة فقيرة .

جدول رقم (٥)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب المهنة
لحج عام ١٤٠٩ هـ

المهنة	مكة		مني		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٠١ بدون عمل	٣٧	٧ر٧	٧٦	٨ر٩	١١٣	ـر٩
٠٢ مزارع	٢٠٠	٧ر٤١	٢٧٥	٣ر٣٥	٤٧٥	٧ر٣٧
٠٣ حرفي	٥٦	٧ر١١	١٢٥	١ر١٦	١٨١	٤ر١٤
٠٤ موظف	٥٧	٧ر١١	١١٦	٩ر١٤	١٧٣	٧ر١٣
٠٥ تاجر	٥٥	٢ر١١	٧٣	٤ر٩	١٢٨	٢ر١٠
٠٦ طالب علم	٨	٧ر١	١٤	٨ر١	٢٢	٧ر١
٠٧ اعمال حرة	٦١	ـر١٢	٦٩	٩ر٨	١٣٠	٣ر١٠
٠٨ غير ذلك	٩	٩ر١	٣٠	٩ر٣	٣٩	١ر٣
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

٠٦ الدخل الشهرى للحجاج المفترشين :

يتضح لنا من الجدول (٦) ان غالبية الحجاج المفترشين فى مكة (٧٤٪) وفي منى (٧٣٪) تدعى ان دخلها الشهري اقل من ١٠٠٠ ريال سعودي وان (٢١٪) من المفترشين في مكة و (٢٣٪) من المفترشين في مني يقدر ردخلهم الشهرك فى حدود الفين ريال سعودي . أي ان غالبية الحجاج المفترشين

تتميز بالدخل المنخفض جدا ، مقارنة لمستوى المعيشة فى المملكة العربية السعودية ، علما بأنهم ـ كما يتضح لنا من الجداول السابقة ـ ينتمون الى مستويات تعليمية ومهنية مختلفة ،مما يقودنا الى التساؤل عن مدى تأثير الدخل النسبي لهؤلاء الحجاج بالنسبة لمستوى المعيشة فى المملكة وما اذا كان يؤثر فعلا على امكانية حصولهم على السكن الملائم ان رغبوا في ذلك • سنحاول في ثنايا هذه الدراسة تلمس بعض الاجابات على هذه المسألة ،والتي ربما كانت اهم عامل كمتغير مفسر لظاهرة الافتراش •

جدول رقم (٦)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب الدخل
لحج عام ١٤٠٩ هـ

الدخل	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) اقل من ١٠٠٠ ريال	٣٥٦	٧٣ر٧	٥٦٨	٧٣ر-	٩٢٤	٧٣ر٣
٢) ١٠٠٠-٢٠٠٠ ريال	١٠٠	٢٠ر٨	١٧٩	٢٣ر-	٢٧٩	٢٢ر١
٣) ٢٠٠١-٣٠٠٠ ريال	٢٥	٥ر٢	٢٨	٣ر٦	٥٣	٤ر٢
٤) ٣٠٠١-٤٠٠٠ ريال	-	-	١	٠ر٣	١	٠ر١
٥) ٤٠٠١-٥٠٠٠ ريال	٢	٠ر٢	-	-	٢	٠ر٢
٦) اكثر من ٥٠٠٠ ريال	-	-	٢	٠ر٣	٢	٠ر٢
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

٧• محل اقامة الحجاج المفترشين قبل الحج :

يتضح لنا من الجدول (٧) ان غالبية الحجاج المفترشين فى مكة (٩٢٪) هم حجاج وافدين من خارج المملكة وتتكرر الصورة في منى (٨٧٪) وهذه نسب اعلى بكثير عما كانت عليها الحالة في دراستنا فى العام الماضي ، اذ يظهر ان الظاهرة توسعت وانتشرت وهي في ازدياد بالنسبة للحجاج الوافدين اما بالنسبة للحجاج المقيمين داخل المملكة من السعوديين وغير السعوديين فهي

طبيعية بالنسبة للافتراش في مكة ، اما بالنسبة للوضع في منى ،فان عدم تعاون المفترشين الاندونيسيين على وجه الخصوص ، والذين لاتظهر ارقامهم في الجداول يخفي ثقلهم العددي في الدراسة ، اذ انهم يشكلون نسبة عالية جدا من المفترشين .

هذا ويظهر لنا ان تفسير ذلك يعود الى طبيعة وظروف (مكة ومنى) . فالافتراش في منطقة الحرم له خصائصه المميزة ،فالمفترشون يمضون غالبية ساعات يومهم في الحرم خلال ساعات النهار ، حيث يحتمون بالحرم من حرارة وضوضاء الشارع والميادين ويستخدمون الحمامات والمرافق العامة والمطاعم المحيطة بالحرم لقضاء حاجاتهم الضرورية ، ولكن ما أن يحل المساء حتى يحتل الحجاج المفترشون موقعهم حول الحرم على ناحية الشوارع وفي الساحات والميادين . وربما كان بعضهم قد حجز هذه الامكنة منذ ساعات النهار، بوضع امتعته أو بالجلوس فيها منذ ساعات المغيب . على ان الحجاج المقيمين داخل المملكة (مع استثناء بعض من يقدم منهم من مدن بعيدة داخل المملكة) لايحتاجون الى عمل ذلك ، فمن كان يسكن منهم مكة أو ماحولها من مدن يستطيع ان يذهب الى عرفات والمشاعر في الوقت المناسب ومن ثما ليس في حاجة الى افتراش شوارع مكة .

على اننا لاحظنا بعض حجاج الخارج ممن لهم منازل مستأجرة يفضلون افتراش الساحات التي امام المبنى الذى يقطنونه ، فلقد رأينا بعض الحجاج الاندونيسيين يفضلون ذلك ، ويبدو ان موجة الحرارة وعدم وجود المكيفات الكافية ربما كانت السبب فى ذلك . هذا ولقد بدى لنا العديد من الحجاج السودانيين يفضلون السكن فى العراء ذلك لأنهم يفعلون ذلك في احواش منازلهم بدورهم فى السودان، والشوارع بعد المغيب فى نظرهم تشبه الى حد ما الأحواش ؟

هذا وعلى الرغم من تحديد اعداد الحجاج الوافدين للحج هذا العام، بحسب ما اتفق عليه حكام الدول الاسلامية ، الا ان اعداد المفترشين وبالذات

من الحجاج الوافدين من خارج المملكة في تزايد مما يعني استمرارية وتوسع الظاهرة، كما سنوضح في ثنايا دراستنا هذه .

الجدول رقم (٧)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب مكان الاقامة
قبل الحج ، لحج عام ١٤٠٩ هـ

مكان الاقامة	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
خارج المملكة	٤٤٤	٩١ر٩	٦٧٣	٨٦ر٥	١١١٧	٨٨ر٦
داخل المملكة	٣٩	٨ر١	١٠٥	١٣ر٥	١٤٤	١١ر٤
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

٨٠ مكان سكنى الحجاج المفترشين الدائمة :

حاولنا فيما سبق ان نعلل الاسباب التى تجعل بعض الحجاج يقومون بافتراش الساحات والشوارع والميادين ، موضحين انه ربما كان ذلك يعود الى اسلوب احلياة الذى تعودوا الحياة عليه فى بلدانهم التى وفدوا منها الا انه يتضح لنا من الجدول (٨) ان نسبة عالية من الحجاج المفترشين في مكة (٪٤٦) وفي منى (٪٤٣) هم من سكان الريف وان (٪٣٦) من المفترشين في مكة و(٪٣٧) من المفترشين في منى يسكنون مدن صغيرة ، مما يدعم ماتوصلنا اليه من امكانية تأثر هؤلاء الحجاج بأنواع وأساليب الحياة التى تعودوها فى مجتمعاتهم . فهم وان لم يكونوا يعيشون في العراء فى بلدانهم بالضرورة، الا ان نسبة صغيرة منهم فقط هي التى عاشت أو على الاقل تعودت على حياة المدن الكبرى وتقاليدها ، اما الغالبية فأنها ، ربما بالاضافة الى اسباب اقتصادية ، لاتجد غضاضة من العيش حياة متواضعة لفترة قصيرة ، فهي قد تعودت بعض متاعب الحياة في بلدانها . وهذه الصورة على عكس ماتوصلنا

اليه فى السنة الماضية حيث كانت غالبية المفترشين من المدن الصغيرة .

جدول رقم (٨)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب مكان السكنى الدائمة
فىبلدانهم ،لحج عام ١٤٠٩ هـ

مكان السكني	مكة		مني		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
قرية	٢٢٥	٤٥ر٨	٣٣٣	٤٢ر٨	٥٥٣	٤٣ر٩
مدينة صغيرة	١٧٤	٣٥ر٨	٢٩٠	٣٧ر٣	٤٦٤	٣٦ر٨
العاصمة	٨٩	١٨ر٣	١٥٥	١٩ر٩	٢٤٤	١٩ر٤
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

ويتضح لنا من الجداول السابقة ان الحجاج المفترشين من جنسيات مختلفة وان كان يغلب عليهم ان يكونون من حجاج السودان وسوريا ومصر وباكستان ، اضافة الى الاندونيسيين المقيمين داخل السعودية في منى، ومتوسط عمر الحاج المفترش ٤٢ر٨ سنة ومستواهم التعليمي فى المتوسط دون المرحلة الابتدائية وغالبيتهم من الذكور ومن العاملين بالزراعة فى الغالب، على اننا نجد ان بعضهم يعملون من مهن ووظائف مختلفة، وغالبيتهم من فئة الدخل المنخفض الذى لايتجاوز شهريا الف ريال وهم من سكان الريف والمدن الصغيرة وغالبيتهم وافدين من خارج المملكة وبالذات المفترشين فهم فى مكة ، اما في مني فهم من حجاج الداخل والخارج (خاصة ان أخذنا في الاعتبار الحجاج الاندونيسيين المقيمين داخل المملكة سواء بصورة مشروعة أو غير مشروعة).

ب . خبرة الحجاج المفترشين بالحج والاسباب التي أدت الى الافتراش :

حاولنا فيما سبق ان نفسر افتراش الحجاج للشوارع والميادين والساحات العامة على أساس المتغيرات الاقتصادية والتعليمية والحياتية

والثقافية لهم ، ولاح لنا ان العامل الاقتصادى يدو فى غاية الأهمية ،على أننا لانجعله السبب الوحيد ونرى انه ربما كان لخبرة الحاج والظروف الموضوعية المحيطة به مايدفعه للافتراش . فيتضح لنا من الجدول (٩) ان (٨٨٪) من المفترشين فى مكة و (٨٦٪) من المفترشين في منى هم من الحجاج الذين يحجون لأول مرة ، بمعنى انهم يواجهون مشكلة الحصول على المسكن المناسب واللائق لأول مرة ، وليست لهم خبرة بالظروف المكانية والزمانية الخاصة بالحج، مما يجعلهم عرضة لعملية الافتراش .

جدول رقم (٩)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب عدد مرات الحج
لحج عام ١٤٠٩هـ

	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
هل هذه أول مرة تحجفيها؟						
نعم	٤٢٣	٨٧ر٧	٦٦٨	٨٥ر٩	١٠٩١	٨٦ر٥
لا	٦٠	١٢ر٣	١١٠	١٤ر١	١٧٠	١٣ر٥
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

هذا وعند سؤال الحجاج المفترشين ماااذا كان بعضهم قد حج مفترشا من قبل اوضحت نسبة صغيرة جدا ، بأنها سبق لها ان حجت بنفس الصورة (اقل من ٥٪) مما يعنى انه ليس فقط غالبيتهم من الحجاج لاول مرة وانما ايضا كانت التجربة (تجربة الافتراش) لأول مرة ، اى ان تفاقم واستمرارية ظاهرة الافتراش ، وعلى وجه الخصوص في مكة ، لاتقوم على اساس تعود مجموعة معينة بالافتراش عاما بعد آخر ،مستفيدة من تجاربها ! فالحجاج المفترشين مفترشون ، على الرغم من انهم لم يحجوا قبل ذلك ، لأسباب مستقلة عن خبرتهم أو تجربتهم .

لذلك فاننا حينما سألنا الحجاج المفترشين عن الاسباب التى دعتهم ان لايسكنون مع مطوفيهم ، تعددت اجاباتهم ، ولقد اوضحت غالبية الحجاج ، كما هو واضح من الجدول (١٠) ، ان اجور المطوف مرتفعة (٨٠٪) فى مكة و (٥٦٪) في مني ، على ان بعضهم ادعي انه تائه لايعرف مكان المطوف أو انه لم يجده ! بل برر بعضهم موقفه بأنه لم يجد عند المطوف مكان لسكني !! وطرق التبرير عند الحجاج تختلف بين مكة ومني ، فالحجاج فى مكة لايعولون كثيرا على تبرير افتراشهم على أسباب غير السبب الاقتصادي ، اما في مني فان عذر ليس لدى المطوف مكان للسكنى (٢٧٪) ولم اعرف اين يوجد المطوف (١٥٪) تبدوا اعذارا معقولة .

على اننا نميل الى الاعتقاد ان مسألة الاجور ، خاصة في مكة ، اذا ماقورنت بالدخل تبدو مقبولة في تبرير عملية الافتراش . فمعظم المفترشين لايستطيعون دفع الاجور المطلوبة ، بل ربما كان هذا حال غالبية الحجاج ، اما التفسيرات أو التبريرات الاخرى ، مع احتمال صدقها ، فانها على مايبدو مجرد آليات دفاع عن الذات وعن وضع لايمكن بأي حال آن يكون مشرفا لانسان متحضر متعلم . ومن ثما يمكننا ان نقول انه لو وجد الحاج سكني مريحة بأجور منخفضة جدا أو مجانية فأنهم ربما امتنعوا عن الافتراش خاصة فى مكة .

جدول رقم (١٠)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب اجاباتهم عن سبب عدم سكنهم مع مطوف ، لحج عام ١٤٠٩هـ

لماذا لاتسكن مع مطوف؟	مكة		مني		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) اجور المطوفين مرتفعة	٣٨٢	٧٩ر٦	٤٣٢	٥٥ر٥	٨١٤	٦٤ر٥
٢) لا أعرف اين اجد المطوف	٣٤	٧ر١	١١٤	١٤ر٧	١٤٨	١١ر٧
٣) لدى مطوف ولكن ليس لديه مكان للسكن	٢٦	٥ر٤	٢١٠	٢٧ر-	٢٦٦	١٨ر٧
٤) لم اهتد الى مكان مطوفى	١٥	٣ر٢	٢٢	٢ر٨	٣٧	٢ر٩
٥) غير ذلك	٢٣	٥ر٦	-	-	٢٣	١ر٨
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

ونظرا لأن معظم الحجاج المفترشين هم ممن حجوا لأول مرة فان غالبيتهم (٥١٪) في مكة و (٥٦٪) في منى ، كما يتضح من الجدول (١١) ، تعرفت على المكان الذى يفترشونه بالصدفة (على اننا نستثنى بعض الحجاج المقيمين داخل المملكة كالاندونيسيين في منى الذين هم على دراية كاملة بأماكن الافتراش ، بل وان افتراشهم محدد وبصورة قصرية) على ان بعضهم (٣٦٪) في مكة و (٢٧٪) في منى اختاروا اماكن افتراشهم بناء على توصيات ونصائح حجاج آخرين سبقوهم فى التجربة ومن ثما أوصوهم بالطريقة ، وقلة (١٣٪) فى مكة و (١٥٪) فى منى اختارت اماكن الافتراش بناء على توصيات اصدقاء لهم .

جدول رقم (١١)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب تعرفهم على مكان الافتراش ، لحج عام ١٤٠٩ هـ

كيف تعرفت على مكان الافتراش ؟	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) بالصدفة	٢٤٣	٦ر٥٠	٤٣٣	٥ر٥٥	٦٧٦	٦ر٥٣
٢) عن طريق الاصدقاء	٦١	٧ر١٢	١١٥	٧ر١٤	١٧٦	ـر١٤
٣) عن طريق حجاج آخرين	١٧٢	٨ر٣٥	٢١١	ـر٢٧	٣٨٣	٤ر٣٠
٤) غير ذلك	٧	٩ر٠	١٩	٨ر٢	٢٦	١ر٢
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

يتضح لنا من الجدول (٩ ــ ١١) ان غالبية الحجاج المفترشين هم ممن ليس لديهم خبرة بالحج من قبل ولأنهم لايملكون أموال كافية معهم فأنهم افترشوا ماقابلهم من اماكن مفتوحة بالصدفة معرضين أنفسهم بذلك ، كما سنرى ، لمشاكل واخطار عديدة .

ج. كيف يعيش الحجاج المفترشون ؟ وماذا يعانون في أماكن الافتراش ؟

سنتعرض في هذا الجزء من دراستنا لدراسة طريقة سكني الافتراش : أهي منفردة أم جماعية ؟ هل باختلاط الجنسين أم لا ؟ وفي حالة وجود نساء، والافتراش في اماكن عامة مفتوحة ، فكيف يتم تدبر سكنى ونوم النساء ؟. وكم من وقت يمضى المفترشون في أماكن الافتراش ؟ بالاضافة الى الاستخدامات المختلفة لأماكن الافتراش وبالذات مايتعلق بالأكل والشرب وقضاء الحاجة والاستحمام والنوم ؟ .

وكما يتضح اننا سنحاول ان نتعرف على الصورة العامة للطريقة العامة التى يحاول فيها المفترشين تكييف الساحات والميادين والشوارع العامة لتصبح " صالحة " لأقامتهم المؤقتة .

بطبيعة الحال لايسكن المفترشون في اماكن الافتراش طيلة النهار ، فالشوارع والاماكن المفتوحة في المدن ليست مهيئة أو معدة للنوم ،على ان استخدامات المفترشين تختلف كما أوضحنا سالفا بالنسبة لمكة منها لمنى . ويوضح الجدول (١٢) ان الحجاج المفترشين يفضلون في مكة ان " يسكنون" ،أو يفترشون مناطق معينة بصورة جماعية (٥٣٪) بينما على العكس تماما (٥٣٪) ايضا في منى يفضلون ان يفترشون أي منطقة مناسبة لأهدافهم وبصورة منفردة فأيام منى محددة معدودة والمكان ضيق نوعا ما ، بينما الوضع في مكة يحتاج الى تحديد لمقابلة الزملاء والاصدقاء .

الجدول رقم (١٢)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب طريقة سكنهم
مكان الافتراش ، لحج عام ١٤٠٩هـ

السكن مكان الافتراش	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
لوحدكم	٢٢٨	٤٧ر٣	٤١٠	٥٢ر٧	٦٣٨	٥٠ر٦
مع جماعة	٢٥٥	٥٢ر٧	٣٦٨	٤٧ر٣	٦٢٣	٤٩ر٤
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

هذا ويتضح لنا ان ليس كل من كانوا فى جماعة بالضرورة ان تكون معهم سيدات مفترشات على ان النساء عادة مايفترشن بصحبة بعض المحارم او رجال من عائلتهن . هذا وحينما سألنا المفترشين عما اذا كانت النساء يقمن معهم بصورة منفصلة ام انهن ينمن منفصلات . فلقد أوضح في الجدول (١٢) ان (٢٢٪) من المفترشين في مكة و (١٥٪) في منى بأن النساء ينمن منفصلات ،بينما اوضح (٣١٪) فى مكة و (٣٣٪) في منى بأنهم غير منفصلات . مما يعنى قيام اختلاط تام اثناء الافتراش لغالبية من كانت معهم نساء ، بطبيعة اضافة الى وضعهن فى الشارع والساحات العامة .

الجدول رقم (١٢)
توزيع الحجاج المفترشين بحسب وضع النساء معهم اثناء الافتراش لحاج عام ١٤٠٩هـ

هل يقمن النساء معكم بصورة منفصلة	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
لوحده بدون نساء	٢٢٨	٤٧ر٢	٤١٠	٥٢ر٧	٦٣٨	٥٠ر٦
نعم	١٠٦	٢١ر٩	١١٥	١٤ر٨	٢٢١	١٧ر٦
لا	١٤٩	٣٠ر٨	٢٥٣	٣٢ر٥	٤٠٢	٣١ر٩
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

ونظرا لان مواسم الحج فى هذه الفترة تأتي في فترات الصيف الشديدة الحرارة ، فان الفترة التى يقضيها الحاج ، عند اجراء المقابلة ، تحدد مدى المعاناة والمصاعب التى واجهها او قضاها ويتضح لنا من الجدول (١٣) ان غالبية الحجاج المفترشين كانوا قد قضوا ، قبل اجراء المقابلة ، اكثر من يومين في مكة (٦٦٪) بينما قضي (٥٠٪) يومين في منى . وهذه النتيجة معقولة اذ ان فترة بقاء الحجاج في مكة اطول وفترة بقاءهم فى منى محدودة فى حدها الاعلى ثلاثة ايام . وتوضح فى رأينا مدة الفترة ان معاناة

الحاج بسبب الافتراش فى مكة ،ربما تكن بسبب الفترة التى يقضونها سواء قبل الحج أو بعده.

الجدول رقم (١٣)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب مدة بقاءهم مكان الافتراش ، لحج عام ١٤٠٩هـ

عدد الايام	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
يوم واحد	٨٨	١٧٫٩	٢٤١	٣١٫٠	٣٢٩	٢٦٫١
يومين	٧٨	١٦٫٣	٣٨٥	٤٩٫٥	٤٦٣	٣٦٫٧
اكثر من يومين	٣١٧	٦٥٫٨	١٥٢	١٩٫٥	٤٦٩	٣٧٫٢
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

وتقتضى عملية الافتراش ان يحاول المفترشون ان يقضون حوائجهم الأساسية (كالأكل والشرب وقضاء الحاجة والاستحمام والنوم) فى مكان الافتراش ان امكن ، فكيف واجه الحجاج هذه الضرورات ، يتضح لنا من الجدول (١٤) ان الغالبية الساحقة من المفترشين (٩٣٪) في مكة و (٩٢٪) في منى استطاعت ان تأكل وتشرب فى مكان الافتراش ولكن تمكنت (٣٣٪) فى مكة و(٢٧٪) في منى منهم من قضاء الحاجة في مكان الافتراش ولم تتمكن الغالبية (٧٧٪) من المفترشين فى منى من الاستحمام فى مكان الافتراش بينما تمكن (٥٦٪) منهم فى مكة واستطاعت مع ذلك الغالبية العظمي (٩٩٪) في مكة و (٩٢٪) فى منى من النوم فى مكان الافتراش ، اى ان المفترشين استطاعوا ولدرجة كبيرة ان يقضوا معظم احتياجاتهم الاساسية من اكل وشرب ونوم فى اماكن الافتراش ، وفى الاماكن التى توفرت فيها الحمامات العامة استطاعوا ان يقضوا حاجتهم بل وان يستحموا ، وفى الاماكن التى ليست بها حمامات عامة قضي بعضهم حاجته فى العراء واحيانا كثيرة امام

انظار الناس ، كما لاحظنا ذلك ميدانيا ،للأسف !

الجدول رقم (١٤)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب قضاء حاجاتهم الاساسية

لحج عام ١٤٠٩هـ

الحاجة	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١.الاكل والشرب						
نعم	٤٥٠	٩٣ر٢	٧١٩	٩٢ر٤	١١٦٩	٩٢٧
لا	٣٣	٦ر٨	٥٩	٧ر٦	٢	٧ر٣
المجموع	٤٨٠	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪
٢.قضاء الحاجة						
نعم	١٥٩	٣٢ر٥	٢١٠	٢٧ر-	٣٦٩	٢٨ر٥
لا	٣٢٤	٧٦ر٥	٥٦٨	٧٣ر-	٨٩٢	٧١ر٥
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪
٣. الاستحمام						
نعم	٢١٤	٤٤ر٢	١٨٢	٢٣ر٤	٣٨٦	٣٠ر٦
لا	٢٦٩	٥٥ر٨	٥٩٦	٧٦ر٦	٨٧٥	٦٩ر٤
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪
٤. النوم						
نعم	٤٧٧	٩٨ر٧	٧١٩	٩٢ر٤	١١٨٦	٩٤ر١
لا	٦	١ر٣	٥٩	٧ر٦	٧٥	٥ر٩
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

يتضح لنا من الجداول (١٢ - ١٤) ان الحجاج المفترشين فى مكة ومني انما يفترشون الساحات والشوارع لوحدهم او فى شكل جماعات وان كان تفضيل الافتراش فى جماعة سما تتميز به المفترشين فى مكة والوحدة في

مني ، على ان من يفترشون فى شكل جماعات ، غالبا مايمضي الحجاج اكثر من يومين فى اماكن الافتراش فى مكة ،على ان غالبية المفترشين يقضون يومين فى الاماكن التى تعرفوا عليها بالصدفة .وتستطيع غالبية المفترشين من الاكل والشرب والنوم مكان الافتراش ، اما مايتعلق بقضاء الحاجة والاستحمام فان نسبة لابأس منهم استطاعت ان تتحصل على هذه الخدمات أو المرافق فى اماكن افتراشها او يتعين عليها ان تنتقل اليها.

د.رأي الحاج المفترش واستخدامه في مكان الافتراش :

سنستعرض فى هذا الجزء من دراستنا لبعض جوانب المنغصات والمكدرات التى يواجهها المفترش كمنعه أو محاولة منعه من الافتراش ومدى استخدامه لمنطقة أو مناطق الافتراش لغايات أخرى غير السكن والاسباب التى دفعته للافتراش وماذا كان على استعداد ان ينتقل الى مكان تتوفر فيه الخدمات والمرافق الضرورية لاقامة مريحة نسبيا.

فعند سؤالنا المفترشين عما اذا كان هنالك من حاول منعك من الافترش ؟ يتضح لنا من الجدول (١٥) ان (٥٣٪) من المفترشين فى مكة و (٧١٪) من المفترشين فى منى أوضحوا انهم لم يقابلوا احدا حاول ان يمنعهم من الافتراش ، بمعنى ان بعض الحجاج المفترشين لم يجدوا احدا يخبرهم بأن افتراش الساحات والميادين والشوارع مخالفة وتعريض الذات للخطر ، مما جعل بعضهم يرى ان مايقوم به من افتراش امر" طبيعي " فى ظل ظروف الحج. على أن البعض قابل من منعهم من الافتراش فى مناطق معينة ، لينتقلوا الى مناطق اخرى افترشوها !

الجدول رقم (١٥)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب محاولة البعض منعهم من الافتراش ، لحج عام ١٤٠٩ هـ

هل هنالك من حاول منعك من الافتراش	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم	٢٠٧	٤٢ر٧	٢٢٨	٢٩ر٣	٤٣٥	٣٤ر٥
لا	٢٧٦	٥٧ر٣	٥٥٠	٧٠ر٧	٨٢٦	٦٥ر٥
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

على اننا حينما سألنا الحجاج المفترشين الذين قالوا بأن هنالك من حاول منعهم من الافتراش ، اوضحوا بأن البوليس كان المانع الأساسي سواء فى مكة أو في منى ثم يلى ذلك موظفى البلدية ، على ان بعضهم أوضح بأن التنافس على المكان من الحجاج الآخرين او الازدحام او الحرارة أو القذارة كان يمكن ان تمنعهم من افتراش بعض المناطق . على اننا من ملاحظاتنا الميدانية وجدنا ان البوليس في الغالب "متسامح" مع المفترشين واذا كان هنالك بعض افراد البوليس ممن يمنعون بعض الحجاج من الافتراش فأنهم في الغالب يكونون من رجال المرور الذين يحاولون منع بعض الحجاج المفترشين من عرقلة الحركة المرورية او تعريض انفسهم لمخاطر السيارات، ولم نلحظ على الاطلاق وجود قوة بوليسية مهمتها منع الحجاج من الافتراش أو تنظيم استخدام الاراضي والساحات العامة في مكة او مني . اما مايتعلق بموظفى البلدية الذين يمكن ان يكونوا قد حاولوا منع بعض الحجاج من الافتراش، فأن ملاحظاتنا الميدانية ، كذلك ماسنعرفه بعد قليل من احتمال استخدام بعض الحجاج المفترشين اماكن افتراشهم لاغراض تجارية . أو مايتعلق بتنافس الحجاج المفترشين على الاماكن فعلى مايظهر انها من العوامل التي ليس لها تأثير عظيم فى الحد أو المنع من الافتراش ، على انها ربما تضايق المفترشين ، كما سنحاول ان نرى لاحقا .

الجدول رقم (١٦)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب من حاول منعهم
من الافتراش لحج عام ١٤٠٩هـ

من حاول منعك من الافتراش	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) لم يمنعه احد	٢٧٦	١ر٥٧	٥٥٣	١ر٧١	٨٢٩	٧ر٦٥
٢) الشرطة	١٦٨	٨ر٣٤	١٢٣	٨ر١٥	٢٩١	١ر٢٣
٣) البلدية	٢٩	ـر٦	٥٣	٨ر٦	٨٢	٥ر٦
٤) الحجاج الآخرين	٤	٨ر	١٥	٩ر١	١٩	٢ر١
٥) الزحام والسيارات	٣	٦ر	١٤	٨ر١	١٧	٤ر١
٦) حرارة المكان	٢	٤ر	١٦	١ر٢	١٨	٥ر١
٧) قذارة المكان	١	٢ر	٤	٥ر٠	٥	٤ر٠
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

كما ذكرنا في مايتعلق باحتمال تعرض بعض الحجاج المفترشين من مضايقة أو محاولة منع البلدية لبعضهم الافتراش انما قد يعود لمحاولتهم استخدام مكان الافتراش لاغراض اخرى غير السكن فقط كالتجارة أو خلافه مما يجعلهم ضمن دائرة اهتمام البلدية ومن ثما مطاردتهم ومحاولة منعهم وكما يتضح لنا من الجدول (١٧) نجد ان (٣ر٥٪) من المفترشين فى مكة و (١٠٪) منهم في منى تستخدم مكان الافتراش للتجارة او لبيع المرطبات وبعض المأكولات الخفيفة ، ولقد أوضح (١٩٪) منهم فى مكة و(٨٪) منهم في منى انهم يستخدمون مكان الافتراش لاغراض اخرى غير السكنى ،مما قد يفسر لنا ضرورة صدهم أو منعهم من قبل بعض الجهات الرسمية كالبلدية .

الجدول رقم (١٧)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب الاستفادة من مكان الافتراش ، لحج عام ١٤٠٩هـ

اوجه الاستفادة	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) التجارة	١٥	٢ر٥	٤٠	٥ر١	٥٥	٤ر٤
٢) بيع مرطبات	٥	١ر-	٤١	٥ر٣	٤٦	٣ر٦
٣) غير ذلك	٩١	١٩ر-	٦٥	٨ر٤	١٥٦	١٢ر٤
٤) لايستخدم المكان لغير السكني	٣٧٢	٧٧ر٥	٦٣٢	٨١ر٢	١٠٠٤	٧٩ر٦
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

وحينما سألنا الحجاج المفترشين عن الاسباب التى دفعتهم على افتراش هذه المنطقة على وجه الخصوص ، أوضحت الغالبية العظمي ان السبب الاساسي لافتراشها انما هو للعامل الاقتصادى ، كذلك اوضحت قلة (٤٪) فى مكة و (٢٪) فى منى ان دافع توفير بعض النقود كان دافعا لها ، على ان نسبة لابأس بها (١٠٪) فى مكة و (١٤٪) فى منى ذكرت اسباب مختلفة لاتبعد عن العامل الاقتصادي كسبب لقيامها بعملية الافتراش .ولقد ذكر بعضهم من جملة الاسباب قرب المكان من المرافق والمناسك او مقابلته جماعة من الاصدقاء ففضل البقاء معها الى غير ذلك من الاسباب التى تبدو انها واهنة ومن جملة آليات الدفاع عن الذات او تبرير سلوكها .

الجدول رقم (١٨)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب الدوافع التـــــي دفعتهم للافتراش ،حج عام ١٤٠٩ هـ

الدافع للافتراش	مكـــة		منـــــي		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) عدم وجود فلوس للسكنىفىمكان آخر	٣٩٦	٨١ر٩	٥٦٧	٧٢ر٩	٩٦٥	٧٦ر٥
٢) اسكن فى بلدى بهذه الطريقة	٤	٨ر	١٧	٢ر٢	٢١	١ر٧
٣) لأوفر بعض النقود	١٨	٣ر٧	١٤	١ر٨	٣٢	٢ر٥
٤) قرب المكان مــــن المرافق والمناسك	١٩	١ر٩	١٥	١ر٩	٢٤	١ر٩
٥) وجدت جماعة اعرفها	٦	١ر٢	٣٧	٤ر٨	٤٣	٣ر٤
٦) غير ذلك	٥٠	١٠ر٣	١٢٨	١٤ر٤	١٧٨	١٤ر١
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

علـــي ان الحجاج المفترشين وعلىالرغم من افتراشهم الشـــــوارع والساحات يفضلون وجود مكان مظلل تؤمن به الخدمات الاساسية للافتـــراش، لقد ابدى (٩١٪) فى مكة و (٨٠٪) في مني ذلك ، على اننا كما يتضح مـن الجدول (١٩) حينما سألناهم ان كانوا على استعداد لدفع نفقات السكـــن في مثل هذا المكانابدى حوالى (٧٧٪) منهم فى مكة و (٧٤٪) في منــــــي استعدادهم على دفع بعض التكاليف لمثل هذا السكن علىان بعضهم لميجيبوا وآخرون (١٥٪) فى مكة و (٨٪) فى منى أوضحوا انهم غير مستعدين لدفـــع أى نفقات بغض النظر عن المكانالمهيء للسكنى !

الجدول رقم (١٩)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب استعدادهم لدفع بعض نفقات مكان قد يهيء للافتراش ،حج عام ١٤٠٩ هـ

مستعدون لدفع النفقات	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم	٣٧٠	٧٦ر٦	٥٧٩	٧٤ر٤	٩٤٩	٧٥ر٣
لا	٧٢	١٥ر-	٦٢	٧ر٩	١٣٤	١٠ر٦
لم يجيبوا	٤١	٨ر٤	١٣٧	١٧ر٦	١٧٨	١٤ر١
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

ويبدو للوهلة الاولي ان ماذكر عن الفاقة والعوز وعدم وجود نقود كافية للدفع على السكن ومن ثما الافتراش سبب غير مقنع بدليل ان غالبية الحجاج يفضلون وجود مكان مظلل به الخدمات الاساسية ، بل وغالبيتهم مستعدة لدفع بعض النفقات ، على اننا ، كما يتضح من الجدول (٢٠) ، عندما ندرس المبالغ التى هم مستعدون لدفعها نجد أنها في حدود خمسين ريال أو مادون لغالبيتهم (٧١٪) في مكة و (٧٠٪) في منى ، اي ان امكانيات الحجاج المالية وللبون الشاسع فى مستويات المعيشة بين اقطار الحجاج ومستوى المعيشة في المملكة ، مما يجعلنا نعود فنؤكد على أهمية وغلبة العامل الاقتصادى حتى توفر عند الرغبة في اختيار افضل للسكنى وطريقة ارقى لأداء المناسك والواجبات الدينية ، اضافة الى انها توضح ، كما سنرى بالتفصيل ، وعي من الحاج المفترش بأن الافتراش غير لائق وربما يعرضه واسرته لأخطار هو في غني عنها ، لكن لعدم وجود بديل فأنه ربما اضطر للافتراش !

الجدول رقم (٢٠)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب المبالغ التى هم على استعداد لدفعها لسكن مظلل ،لحج عام ١٤٠٩ هـ

المبلغ	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
غير مستعد لدفع أي مبلغ	١١٧	٢٤ر٤	١٨٦	٢٣ر٩	٣٠٥	٢٤ر٢
فى حدود عشرة ريالات	١٦٩	٣٥ر٢	٢٩٠	٣٧ر٣	٤٥٩	٣٦ر٤
فى حدود خمسين ريال	١٧٣	٣٦ر٠	٢٥٧	٣٣ر ـــ	٤٣١	٣٤ر٢
اكثر من خمسين ريال	٢١	٤ر٠	٤٥	٥ر٨	٦٦	٥ر٢
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

يتضح لنا من الجدول (١٥-٢٠) ان الحجاج المفترشين لم يقابلوا من يمنعهم فى الغالب من الافتراش ، والقلة ممن قابلت من منعها من الافتراش كانوا من رجال البوليس (وغالبا على مايبدو من رجال المرور بسبب عرقلة هؤلاء الحجاج الحركة المرورية) أو من البلدية لاستخدامها مكان الافتـــراش للتجارة والارتزاق . اضافة الى ان غالبية الحجاج ابدوا املهم بوجود مكان مظلل تتوفر فيه الخدمات الاساسية ، بل وهم مستعدون فى غالبيتهم لدفـــع مبالغ رمزية لاستخدام مثل هذه الاماكن .

هـ مايعانيه الحاج المفترش فى مكان الافتراش :

مع تسليمنا بأهمية العامل الاقتصادى في تحديد نوعية واسلـــوب الحياة اثناء فترة الحج وطريقة المناسك ، ومع معرفتنا بوعي الحاج علـــى مايترتب على افتراشه الارض من مخاطر قد يعرض فيها نفسه واسرته بـــل وربما قومه وامته ، بحيث تجعلنا نتسآل عن مدى تحقيق الاستطاعة ، الشـــرط الضرورى لوجبية الحج في العصر الحديث . فالمفترش قد يعرض نفسه لمشاكل صحية عديدة ، فهو كما أوضحنا يسكن فى اماكن مزدحمة تكثر فيها القمائم

والنفايات والاوساخ ، ومن ثم فأنها مناطق موبؤة او على الاقل محتمل ان تكون موبؤة بالامراض والجراثيم ، وربما سبب الازدحام واحتكاك الحجاج في ظروف بالغة السوء،بسبب الافتراش ، الى التعرض للعدوى بالامراض المعدية والاوبئة الفتاكة اضافة الىتعريض المفترش نفسه للسرقات خاصةللاوراق الرسمية كالجوازات وتذاكر السفر او للاوراق المالية بل حتى متاعه الذى سيحتاج الي مكان يضعه فيه ، ولايمكن لمفترش يعيش في الشارع أو الساحات العامة ان يترك عفشه او ماله او متاعه عامة سائب، ولبقائه فى الشارع فانه يعرض نفسه للدهس ، او الحريق او غير ذلك من مخاطر لاينجوا منها من سكن الشارع. ولما كان بعض المفترشين يفترش الشارع ومعه نساء مطلوب لهن الحشمة والخصوصة اللائقة والمطلوبة لنساء المسلمات عموما والمؤمنات خصوصا ، خاصة وانهن قد قدمن وضحين بالغالى والنفيس ابتغاء مرضاة الله ، كل هذه القضايا تجعلنا نتسآل عما اذا كان الحجاج المفترشون يدركون مايترتب علىافتراشهم من مخاطر ومشاكل يعرضون انفسهم وغيرهم بل وامتهم لها.

ففيما يتعلق بمسألة الصحة ،والدارس لتاريخ الحج يدرك اهمية المحافظة علي الصحة العامة والله- لاقدرالله - اصبح الحج فرصةلانتشار الامراض والاوبئة . وعند سؤال المفترشين،كما يتضح من الجدول (٢١)،عما اذا كانوا يعتقدون بأن افتراش الاماكن العامة (كالشوارع والميادين) مضر بالصحة ، قال (٨٢٪) منهمفى مكة و (٨٤٪) فى منى بالايجاب ،اى ان غالبية الحجاجعلى وعي بأن الافتراش يضر بالصحة .

الجدول رقم (٢١)

توزيع عينة الحجاجالمفترشين بحسب اعتقادهم بأن افتراش الاماكن العامة مضر بالصحة ، لحج عام١٤٠٩هـ

مضر بالصحة	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
نعم	٣٩٦	٨١ر٩	٦٥٦	٨٤ر٣	١٠٤٢	٨٢ر٦
لا	٨٧	١٨ر١	١٢٢	١٥ر٧	٢١٩	١٧ر٤
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

على اننا حينما انتقلنا فى السؤال من العام الى الخاص ، واستوضحنا ، كما يتضح من الجدول (٢٢) ، عما اذا كان المكان الذى يفترشونه غير صحي ، فأوضح (٥٣٪) منهم فى مكة و (٥٦٪) منهم فى منى بأن الاماكن غير نظيفة وهذه نسبة منخفضة نوعا ما ، مما يدل على ان مستوى النظافة ، وعلى الرغم من ظروف الحج الطارئة ، تحظى بالنظافة والرعاية . بطبيعة الحال كذلك ينبغى ان نأخذ فى اعتبارنا ان النظافة قد تكون نسبية ، فهؤلاء المفترشون القادمون من مناطق ريفية زراعية يجدون شوارع وساحات وميادين مكة ومنى ، التى يفترشونها نظيفة نسبيا . على ان المفترشين ، على الرغم من اعتقادهم بنظافة اماكن الافتراش نسبيا ، فان غالبيتهم (٧٥٪) في مكة و(٨٤٪) في منى يعتقدون ان الافتراش قد يضر بصحتهم ، اى ان المفترشين يرون ، على الرغم من النظافة النسبية لاماكن الافتراش فانها مضرة بالصحة .

الجدول رقم (٢٢)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب نظافة اماكن الافتراش وخطورتها على الصحة لحج عام ١٤٠٩ هـ

	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
ا . هل المكان غير صحي						
نعم	٢٥٦	٥٣ر١	٤٣٣	٥٥ر٧	٦٨٩	٥٤ر٦
لا	٢٢٧	٤٦ر٩	٣٤٥	٤٤ر٣	٥٧٢	٤٥ر٤
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠
ب . خطر على الصحة						
نعم	٣٦١	٧٤ر٧	٦٥٦	٨٤ر٣	١٠١٧	٨٠ر٧
لا	١٢٢	٢٥ر٣	١٢٢	١٥ر٧	٢٤٤	١٩ر٣
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

بطبيعة الحال ليست مسألة الصحة والنظافة المشكلة او الخطر الوحيد الذى قد يتعرض له من يفترش الشوارع والساحات من الحجاج فلقد اوضح (٦٠٪) من المفترشين فى مكة و (٥٤٪) في منى ان السيارات قد تشكل خطر على حياتهم خاصة وان بعض المفترشين ينامون على جنبات الطريق العام او فى أماكن غير بعيدة عن حركة السيارات مما قد يعرضهم للدهس او الاصطدام بالسيارات. هذا وقد يتعرض المفترشين لأخطار الحرائق ، لكن عند سؤال المفترشين عن موضوع مخاطر الحريق أوضحت غالبيتهم (٦٨٪) في مكة و (٦١٪) في منى بأنهم لايعتقدون باحتمال تعرضهم لخطر الحريق ، على الرغم من ان بعضهم يقوم باعداد طعامه فى مكان الافتراش ، خاصة فى مني .

اما مايتعلق بأمتعتهم واغراضهم الشخصية واحتمال تعرضهم للسرقة فلقد ابدى (٦١٪) منهم فى مكة بخوفهم من التعرض للسرقة ،وفى الواقع أوضح العديد منهم بأنهم تعرضوا بالفعل للسرقة ، سواء فى أموالهم أو اوراقهم الخاصة المهمة وكذلك هو الحال في منى وان كان من يعتقدون بذلك الخطر (٥٧٪) . ولقد لفتت انظارنا الكيفية التى كانت تتراكم فيها بعض الحقائب والامتعة الشخصية حول منطقة الحرم، وهي معرضة للشمس والسرقة . وحينما تكلمنا مع بعض المفترشين أوضحوا لنا على مدى القلق والحرص الدائم الذى يعيشه المفترش للحفاظ على مقتنياته الشخصية ، وكيف في حالة عدم وجود خزائن عامة لوضع الامانات، ان المفترش يعرض نفسه اما للسرقة أو القلق المستمر.

وكما ذكرنا فان بعض المفترشين معهم نساء ينمن معهم فى الساحات والشوارع مما يجعله عرضة لأنظار المارة ويخدش الخصوصية والحشمة المطلوبة للمرأة المسلمة خاصة وانها تؤدى فريضة ومنسك اسلامي هام. ولقد أوضح (٦٤٪) من المفترشين فى مكة و (٦٠٪) فى منى ان الافتراش يعرض النساء بالفعل لما ذكرنا. ولقد أتضح لنا من ملاحظاتنا الميدانية ان النساء

قد تتكشف اجزاء من بدنهن كان ينبغى ان لاتظهر امام الناس ، خاصة اثناء نومهن ، هذا ولقد رأينا بعض المناظر المؤذية التى تنكشف فيها "عورة "بعض النساء وهن يقضين الحاجة وبعضهم يستحمن (الاندونيسيين فى منى) مما يخل بخصوصية وحشمة المرأة المسلمة . وفوق كل ذلك نظرا لأن الافتراش غالبا مايكون فى اماكن تتجمع فيها مجموعات من الناس وحيث ان بعض المفترشين يقضون اكثر من يوم فى نفس المكان فان هذا يؤدى بالضرورة الى الاختلاط بين الرجال والنساء ويعرض النساء لبعض المفاسد .

وأخيرا وعلى الرغم من كل هذه المخاطر والمشاكل التى تعترض المفترش ، والتى كما رأينا تشكل فى الواقع منغصات شديدة ،يدعون البحث ان نسأل عما اذا كان المفترشون يشعرون بعدم الراحة ، أي ان السؤال هو ما اذا كان المفترش يجد أي مبرر يجعله يتحمل كافة هذه المصاب والاخطار ، وفى الواقع اوضح (٧٣٪) من المفترشين فى مكة و(٨٥٪) فى منى ان الافتراش غير مريح لهم بطبيعة الحال، البعض اوضح فى مقابلتنا الميدانية ان المصاب والمشقة التى يقابلها الحاج المفترش انما هي دليل على القبول وزيادة فى الاجر ، لكن هذا النوع من المنطق ، على مايبدو ، لم يعد ، فى عصر العلم والتقدم وانتشار التعاليم الاسلامية السمحة بصورة واضحة ، مثل هذه الاراء قبول واسع .والدليل ان الحجاج المفترشين فى غالبيتهم يوضحون انهم غير مرتاحين من حالتهم في الافتراش والتى تجعلهم يرتكبون العديد من الامور التى كان ينبغي عليهم ان يتجنبوها ، اضافة الى انهم يسببون مضايقة لأنفسهم ولغيرهم كان الاجدر والأفضل ان لايقوموا بها .

الجدول رقـم (٢٣)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب مخاطر السيارات والحريق والسرقةوخصوصية النساءوالراحة لحج عام ١٤٠٩ هـ

	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
أ.مخاطر السيارات						
نعم	٢٩١	٦٠ر٢	٤١٩	٥٣ر٩	٧١٠	٥٦ر٣
لا	١٩٢	٣٩ر٨	٣٥٩	٤٦ر١	٥٥١	٤٣ر٧
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠
ب . مخاطر الحريق						
نعم	١٥٧	١٢ر٣	٣٠٦	٣٩ر٣	٤٦٣	٣٦ر٧
لا	٣٢٦	٦٧ر٧	٤٧٢	٦٠ر٧	٧٩٨	٦٣ر٣
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠
جـ. مخاطر السرقة						
نعم	٢٩٥	٦١ر١	٤٤١	٥٦ر٧	٧٣٦	٥٨ر٤
لا	١٨٨	٣٨ر٩	٣٣٧	٤٣ر٣	٥٢٥	٤١ر٦
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠
د.كشف عورات النساء						
نعم	٣٠٩	٦٣ر٩	٤٦٤	٥٩ر٦	٧٧٣	٦١ر٣
لا	١٧٤	٣٦ر١	٣١٤	٤٠ر٤	٤٨٨	٣٨ر٧
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠
هـ .عدم الراحة						
نعم	٣٥٤	٧٣ر٢	٦٦٢	٨٥ر١	١٠١٦	٨٠ر٦
لا	١٢٩	٢٦ر٨	١١٦	١٤ر٩	٢٤٥	١٩ر٤
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

هذا ويتضح من الجدول (٢١-٢٣) ان المفترشين يعتقدون بـأن الافتراش مضر بصحتهم ، على أنهم بصورة عامة يعتقدون انه على الرغم من افتراشهم مضر بصحتهم الا ان شوارع المملكة نظيفة ، على الرغم من ظروف الحج ، بما قد يبرر افتراشهم لها ! هذا ولقد اوضح المفترشون بأنهم في الغالب يحسون باحتمال تعرضهم لأخطار التعرض لحوادث السيارات علي انهم لايشعرون في الغالب بتعرض انفسهم لمخاطر الحريق . هـذا ولقد أوضح المفترشون بأنهم يتعرضون لمخاطر السرقة خاصة فى مكة وانهم يعترفون بأن الافتراش يعرض النساء لأعين المارة والاختلاط وانتفاء الخصوصية والحشمة المطلوبة للمرأة المسلمة . وعموما ابدت غالبية المفترشين بأن الافتراش يجعلهم لايشعرون بالراحة اضافة الى مايعرضون انفسهم له من مشاق واخطار.

و. ما الذى يمكن عمله لصد المفترشين ؟

نذرت حكومة خادم الحرمين الشريفين نفسها لخدمة الحجاج وتوفير كافة الامكانيات وتجنيد كافة الطاقات لخدمتهم ورعايتهم ، وهذا واضح وجلي في كل مرافق وخدمات الحج. ولكن وعلى الرغم من حسن الضيافة وكرم الوفادة ، الا اننا نلاحظ ان بعض الحجاج ، لأسباب عديدة من أهمها العامل الاقتصادى ، يجعلها تفترش الشوارع والساحات مما يعرضها ـ كما أوضحنا ـ لمخاطر واضرار ، مما يفرض على الاجهزة الحكومية ، التى كما اوضحنا لم تألوا ذخرا ، او جهدا لرعاية وخدمة الحجاج، ان تواجه هذه الظاهرة التى على مايبدو انها فى ازدياد مطرد . وقبل ان نتعرض لبعض الاساليب المقترحة فى ضوء دراستنا الميدانية ، توجهنا بالسؤال الى المفترشين انفسهم عن الاجراءات التى يمكن ان تصدهم عن الافتراش،بأبدى بعضهم ، كما يتضح من الجدول (٢٤)، ان البوليس (٨٢٪) فى مكة و(٦٦٪) في مني على ان بعضهم اقترح برش الماء على الارض او بفرض جزاءات مالية على المفترشين . ويبدو ان هذه اقتراحات معقولة ، اذ كما اتضح لنا

آنفا ان المفترشين اوضحوا انهم فى الغالب لم يجدوا من يصدهم عن الافتراش ،مما جعل بعضهم يرى ان الافتراش حق مكتسب ، ولو وجدوا من يرشدهم او يمنعهم من الافتراش لحمايتهم فى الواقع .

الجدول رقم (٢٤)
توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب مايمكن عمله لصدهم عن الافتراش لحج عام ١٤٠٩ هـ

مايمكن عمله لصدهم	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١) البوليس	٣٩٤	٨١٫٥	٥١٤	٦٦٫٠	٩٠٨	٣٢٫ـ
٢) رش الارض بالماء	٥٢	١٠٫٨	١٦٨	٢١٫٦	٢٢٠	١٧٫٥
٣) جزاءات مالية	٣٧	٧٫٧	٩٦	١٢٫٤	١٣٣	١٠٫٥
المجموع	٤٨٣	١٠٠٪	٧٧٨	١٠٠٪	١٢٦١	١٠٠٪

فى الواقع اوضحت غالبية المفترشين انهم لايرغبون فى الحج بنفس الطريقة مرة أخرى ، فلقد اوضح (٩٣٪) منهم في مكة و(٥٥٪) منهم في منى بأنهم ربما لن يحجوا بنفس الطريقة مرة اخرى وانهم ربما سيستعدون استعدادا ماليا افضل يمكنهم من القيام بشعائر ومناسك الحج بصورة اكثر راحة، ولقد اوضح (٨٤٪) في مكة و(٦٩٪) منهم بأنهم لاينصحون أحد من الحجاج بتعريض انفسهم للمخاطر والمصاعب التى واجهوها اثناء افتراشهم.

الجدول رقم (٢٥)

توزيع عينة الحجاج المفترشين بحسب رغبتهم فى تكرار تجربة الافتراش او نصح غيرهم بتجربتها لحج عام ١٤٠٩ هـ

	مكة		منى		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
ا٠يرغب فى تكرار تجربة الافتراش						
نعم	٨٢	٩ر١٦	٣٥٠	ـر٤٥	٤٣٢	٣ر٣٤
لا	٤٠١	١ر٨٣	٤٢٨	ـر٥٥	٨٢٩	٧ر٦٥
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠
ب ٠ينصح غيره بالافتراش						
نعم	٧٩	٣ر١٦	٢٤٣	٢ر٣١	٣٢٢	٥ر٢٥
لا	٤٠٤	٧ر٨٣	٥٣٥	٨ر٦٨	٩٣٩	٥ر٧٤
المجموع	٤٨٣	٪١٠٠	٧٧٨	٪١٠٠	١٢٦١	٪١٠٠

ع٠ الاماكن التى يختارها المفترشون :

يختلف اختيار الاماكن التى يقبل عليها المفترشون بحسب الموقع والموضع٠ فنجد ان اكثر الاماكن عرضة للافتراش هي الساحات والشوارع المجاورة للحرم المكي الشريف او الطرق المؤدية اليه والمحيطة به٠حيث نجد أن المنطقة المحيطة بالحرم ومنطقة " سوق الصغير" المفتوحة ومنطقة الكبارى المحيطة بمستشفي اجياد بل وشوارع وازقة اجياد اضافة الىمنطقة حوارى الشامية والنقا والفشاسيه وشعب على تعتبر من الاماكن المختارة المفضلة٠ على ان الافتراش فى هذه الاماكن مختلف متباذين بسبب خواص وظروف المكان نفسه ويمكننا فى الواقع نلحظ ان هنالك ثلاثة مناطق مقامة للمفترشين : (ا) مناطق مغطاة مظللة طوال النهار (ب) مناطق مفتوحة لكنها مظللة جزئيا (ج) مناطق مفتوحة ومعرضة للشمس طوال النهار٠

بالاضافة الى قرب او بعد هذه الاماكن عن الحرم والخدمات الاساسية.

(أ) مناطق مغطاة مظللة طوال النهار:

اهم منطقة يفترشها الحجاج الانفاق التى تنتهي الى منطقة دار الارقم وهما فى الواقع نفقين ،طول كل واحد منها حوالى كيلو ونصف الكيلو. وبجوار هذه الانفاق اكثر من حمام عام يمكن للمفترشين ان يقضوا حاجاتهم بل ويستحموا بها. وبطبيعة الحال ،الانفاق فى مواجهة الحرم مباشرة مما قد يتمكن الحجاج حتى بالصلاة وهم باقين فى مكان افتراشهم . ويوجد في ساحة قريبة من هذه الانفاق حمامات عامة اضافية اضافة الى وجود بعض الاطعمة التى توزع مجانا في شكل صدقات وتبرعات بالاضافة الى قرب الانفاق موزعات مياه زمزم ولاتبعد منطقة الفشاشيه التى تكثر بها المطاعم والاسواق التى يمكن للمفترشين شراء احتياجاتهم منها. على ان منطقة الانفاق هذه تعاني من انها لاتتعرض للشمس على الاطلاق وتعاني من مشكلة اكسجين ومن ثم فان مخاطر التعرض للمرض ووجود الميكروبات والجراثيم عالية. ونظرا لازدحام هذه الانفاق بالمفترشين وتكدسهم فان المفترشين يعرضون انفسهم لكل ماذكرنا ، اضافة الى ان استمرار "احتلالهم" لاماكن افتراشهم ، واكلهم وشربهم فى نفس المكان يجعل المكان مرتع للقمائم والنفايات. واخيرا فان هذا الافتراش الدائم وبالحجم والكثافة التى هو عليها تعوق كليا أى امكانية من استخدام هذه الانفاق فى حالات الطوارئ لوصول رجال الدفاع المدني أو الاسعافات الى منطقة الحرم على الاطلاق مما يجعل استخدام الانفاق معوق وظيفية لاستخدام الانفاق .

ب. مناطق مفتوحة لكن مظللة جزء من النهار:

اهم هذه المناطق الواقعة تحت الكبارى خاصة تلك التى بجوار مستشفى اجياد سواء مقابل القصور الملكية او بجوار فندق

اجياد . وتتميز هذه المناطق بأنها تحصل على قدر من الهواء والشمس يجعلها ، على الرغم من مشاكل النظافة صالحة لافتراش بعض الحجاج. وهذه المناطق تتمتع فى اجزاء من النهار ببعض الظلل على الرغم من ان درجة الحرارة مرتفعة بها طوال النهار. وهذه المناطق تختلف اختلافات عديدة عن منطقة الانفاق ، فهي غير معزولة أو بعيدة عن الشارع وحركة المرور ، وانما على قارعة الطريق مما يفقد المفترشون فيها أى خصوصية أو حرمة من اعين ومراقبة المارة ، اضافة الى انها غير مهيئة علي الاطلاق بحمامات أو اماكن عامة يمكن قضاء الحاجة بها ، وأماكن قضاء الحاجة بعيدة عنها نوعا ما ولاتوجد بالقرب منها مياه مجانية . على انها وسط السوق مما يمكن المفترشون بشراء معظم احتياجاتهم بسهولة ويسر.

جـ . مناطق مفتوحة ومعرضة للشمس طوال النهار:

وتتميز هذه المناطق بتباينها وتعددها قربا أو بعدا عن الحرم المكي ، اضافة الى انها فى الغالب تمثل مايعرف بالافتراش المسائي مما يعنى ان عملية احتلال مفترش لمكان ما بصورة مستمرة غير ممكن. وتتميز هذه المناطق انها تحظي بالنظافة اليومية اذ يغادرها المفترشون مع شروق الشمس او حتى مع اذان الفجر. وأهم هذه المناطق منطقة سوق الصغير او وادى ابراهيم والارصفة المحيطة بالحرم المكي وازقة الحوارى المحيطة بالحرم خاصة فى المسفلة والقشاشية وشعب على وغيرها من احياء. وفى الواقع يفترش العديد من الحجاج هذه المناطق في ساعة متأخرة من الليل بعد آن تهدأ حركة المرور حول الحرم ، لكن مع ذلك فانها تعرض الحجاج المفترشين لخطر الدهس بالسيارات والسرقة . ويعاني المفترشون فى هذه المناطق بأن عليهم ان يبقوا طوال النهار في الحرم المكي أو الاسواق العامة . هذا ونجد بعض حجاج البر الذين ليس لهم مطوفين أو

لايذهبون لهم ، يخيمون فى اطراف مكة ، مثلا حول القشلة والحفاير وبعض احياء مكة البعيدة عن الحرم ، وهؤلاء الحجاج يستظلون بسياراتهم ولايشكلون أى تعطيل ، اولا لقلة اعدادهم وثانيا لبعدهم عن مناطق الاختناقات .

هذا ويمكننا ان نلخص نوعا من تركز بعض الحجاج من جنسيات معينة في هذه المناطق المختلفة فمن ناحية عامة نجد ان بعض الحجاج المصريين يفضلون الانفاق (فى الواقع نجد بعضهم يرتادوها عند قدومهم للعمرة (اثناء العام) ونجد ان الحجاج السودانيين والسوريين يفضلون افتراش مناطق تحت الكبارى بجوار مستشفى اجياد ، اما حجاج البر ففى الغالب يكونون من الاردنيين والعراقيين .

أما في منى فأنه بامكاننا تحديد نوعين من المناطق (ا) منطقة الكبارى سواء منطقة كبرى الجمرات والمشاه (ب) اطراف الشوارع بوادى منى. وتشكل فى الواقع منطقة الجمرات سواء تحت أو فوق الكبرى وكبرى المشاه منطقة جذب قوية لاعداد كبيرة من المفترشين . ولاحظ ان الحجاج المفترشين الذين يفترشون منطقة الكبارى يحتلون مناطق الافتراش بصورة دائمة ومستمرة. ولقد لاحظنا ميدانيا ان بعضهم يقومون بالاضافة الى النوم والاكل والنوم فى اماكن الافتراش بطبخ طعامهم واحيانا قضاء حاجتهم فى نفس المكان ـ كما سنوضح بعد قليل ـ وهم يقيمون فى شكل مجموعات ، سواء كأسر أو أفراد.

هذا واثناء فترة المساء تصبح كافة المناطق المفتوحة واطراف الشوارع اماكن للافتراش معرضين انفسهم لكافة انواع المخاطر والصعاب ومزعجين انفسهم وغيرهم !! هذا ومما يلفت الانظار ان منطقة كوبرى الجمرات توفر العديد من الخدمات الاساسية كالماء والاطعمة وبصورة مكثفة ، اضافة الى توفر الهواتف وخدمات البريد وخدمات الدفاع المدني

بالاضافة الى قرب هذه المنطقة من منطقة الجمرات واماكن اداء المناسك .

ونظرا لازدحام منطقة الكبارى فان هذه المنطقة تعاني ، كما ذكرنا فى نتائج دراسات سابقة قام بها المركز اضافة الى ما وقفنا عليه ميدانيا ، من مشاكل نظافة او احتمال ان تكون مكان لتجمع الجراثيم ومكان مناسب لانتشار الاوبئة والامراض بين الحجاج. اضافة الى ان افتراش الحجاج لهذه المناطق ـ خاصة منطقة كبرى الجمرات ـ يربك ويضايق الحجاج فى ادائهم شعيرة رمي الجمرات مع اعاقة احتمال وصول خدمات الدفاع المدني او الاسعافات او خلافها فى حالة وجودها من قد يستدعي او يتطلب وجودها. وفى الواقع ان تكدس الحجاج بهذه الكثافة يزيد من احتمال وقوع نسبة عالية من الوفيات فى حالات الازمات أو الطوارئ، مما يجعل موضوع وجود حل لمواجهة هذه المشكلة في غاية الالحاح والضرورة .

ك . بعض الحجاج المفترشين الذين يستحقون وقفة خاصة :

أ. المفترشون الاندونيسيين :

لاحظنا ان غالبية الحجاج المفترشين لمنطقة كبرى الجمرات هم من الاندونيسيين المقيمة فى الغالب داخل المملكة ، سواء كانوا من المقيمين بصورة نظامية شرعية ام غير ذلك . ولقد تمكن من التأكد من ذلك من العلامات الخاصة التى يرتديها الحجاج الاندونيسيين القادمين لهذا العام. ويتميز المفترشون الاندونيسيين بأنهم مستعدون لعملية الافتراش ، حيث نجد انهم قد احضروا معهم اطقمهم وأوعية اعداد الطعام من قدور وصحون وخلافه بل حتى انابيب الغاز (التى يصعب على العديد من الحجاج اقتناءها داخل الخيام!) وهم يفترشون الارض في شكل مجموعات ، يختلط فيها افراد الاسرة او الجماعة الواحدة ذكورا واناثا . ولقد لاحظنا وجودهم فى العام الماضي والاعوام السابقة ،فهم فى غاية التنظيم بصورة جماعية اجمالا ولقد رفضوا وبصورة متكررة للعام

الثاني التعاون معنا والاجابة على اسئلة الدراسة ، وربما يعود سبب ذلك الى خوفهم أو اعتقادهم اننا نمثل سلطات الهجرة، واننا سنعدهم عن الافتراش . ولقد لاحظنا ان بعضهم يقوموا بالتجارة سواء فى شكل بيع للاطعمة أو بيع بعض الملبوسات او الهدايا. ومما احتج عليه العديد من الحجاج الذين افترشوا نفس المنطقة معهم عدم رعايتهم لقواعد الحشمة والشريعة الاسلامية فنسائهم كاشفات بل وقد تظهر اجزاء من اجسادهم ينبغي ان تستر اما رجالهم فغالبيتهم ، لشدة الحر، لايرتدون سوى فوط تغطى اسفل الجسم. ومن المناظر المألوفة بينهم قيام بعضهم بكبوس بعضهم البعض !!

ب . المفترشون السودانيون والسوريون :

لاحظنا فى السنة الماضية افتراش اعداد من الحجاج السودانيين منطقة ماتحت الكبارى المجاورة لمستشفي أجياد ، ولقد وصفنا خصائص هذه المنطقة وطبيعتها .ويتميز هؤلاء الحجاج بأنهم من حجاج الخارج القادمين لحج كل عام توصلهم الحافلات التى نقلتهم من المطار مباشرة الى منطقة الافتراش كما لو انها منطقة خاصة بهم. وهم فى الغالب مهيئين انفسهم لعملية الافتراش ، فبعضهم ، خاصة من كبار السن، يحمل معه سريره الخشبي السوداني الخفيف "العنقريب" اضافة الى بعض انواع السجاد التى يفترشونها للنوم والجلوس فى منطقة الافتراش ، ومعهم اباريق الماء للوضوء والشرب مع بعض أدوات الطبخ وان كان بشكل خفيف لايمكن مقارنته بما لدى الاندونيسيين ، على ان خلو المكان من حمامات عامة يجعلهم يقضون حاجتهم فى العراء وعلى قارعة الطريق ،مما يشكل وضع سيء للغاية ومزرى خاصة فى حالة النساء. هذا ولما كانت المنطقة غير مغطاة فان الحجاج المفترشين يتعرضون اثناء النهار للجو الحار ولأشعة الشمس الحارقة مما يسبب لهم مشاكل عديدة.

هذا ولقد لاحظنا هذا العام وجود اعداد لابأس بها من الحجاج السوريين الذين قدموا من المنطقة الشرقية فى سوريا- وذلك بحسب ماذكروه - وعلى وجه الخصوص وهم بطبيعة الحال بحسب دراستنا فى العام الماضي قادمون جدد لافتراش هذه المنطقة ولقد افترشوا اجزاء من المنطقة في طرفي الشارع العام تحت الكوبرى . وهم يعانون من نفس مايعاني منه زملاءهم السودانيين.

ولقد اتضح لنا من مقابلة مجموعة من السودانيين والسوريين انهم غير راضين على الاطلاق من وضعهم كمفترشين وخاصة بسبب مايعانونه من مخاطر ومصاعب لكنهم اوضحوا ان رغبتهم فى اداء فريضة الحج، على الرغم من قلة مافى اليد ، جعلتهم يستسهلون كل المخاطر والصعاب . ولقد وجدنا بينهم بعض ممن حصلوا على تعليم عالي ويعملون فى مهن عالية ممن اقترحوا امكانية وجود مايشبه بيوت الشباب أو بعض المساكن الرخيصة جدا لحجاج الدول الفقيرة والذين ترهقهم فروق مستوى المعيشة في المملكة .

أهم النتائج العامة للدراسة :

(١) يظهر لنا ان عملية الافتراش ظاهرة ليست محدودة بجنسية أو جنسيات محدودة ، ان هنالك جنسيات معينة تكثر من عملية الافتراش كالسودانيين والسوريين والمصريين والباكستانيين فى مكة والاندونيسيين المقيمين بالمملكة بصفة خاصة .ويبدو ان المفترشين ينتمون الى كافة الفئات العمرية وان كانت غالبيتهم من فئة ٣٦ عام فأكبر (وهي فئة معظم الحجاج) وغالبية المفترشين من ذوى المستويات التعليمية المتدنية وغالبيتهم من المزارعين وصغار الموظفين والحرفيين وهم في الغالب ممن يحجون لاول مرة .

(٢) يبدو ان العامل الاقتصادى هو اهم الدوافع التى أدت بهم الى الافتراش فمعظم المفترشين من فئات دخل شهر يقل عن الف ريال. فعدم توفر النقود اضافة الى تسامح السلطات وتغاضي المفترشون للظروف السكنية غير المناسبة او اللائقة فى الشوارع والساحات و الميادين العامة دفعهم للافتراش .

(٣) تتوفر فى معظم اماكن الافتراش ، خاصة بمنى ، الخدمات والمرافق الضرورية للحجاج وهى في مكة فى الغالب ليست بعيدة جدا عن مكان الافتراش مما يجعلها ـ فى غياب مايمنع او يحول دون استخدامها ـ مناطق جذب فهي فى العادة بالاضافة الى توفر الخدمات قريبة من اماكن اداء الشعائر التي ينبغي على الحاج القيام بها اضافة الى انها تعطى الحاج فرصة اكبر من البقاء فى مكة بجوار الحرم المكي والتعبد فيه وفى منى بالقرب من الجمرات والمسجد وهذا ماقد لايتوفر للحجاج الذين يسكنون فى منازل او عند مطوفين فى اماكن بعيدة عن الحرم أو الجمرات ، وكل ذلك مجانا ايضا .

(٤) اتضح لنا فى الدراسة ، انه وعلى الرغم من توفر الخدمات والمرافق فلقد تعرفوا عليها ـ كما يذكرون ـ بالصدقة فى الغالب مما يعني انه كان بالامكان توجيههم الى اماكن اخرى لو وجهت الخدمات والمرافق الى مناطق اخرى او قابلوا بعض الممانعة والتوجيه الى الذهاب الى اماكن اخرى .

(٥) يستخدم المفترشون مكان الافتراش للأكل والشرب و النوم ويتمكن بعضهم من قضاء حاجته بل والاستحمام فى مكان الافتراش هذا ويستخدم قلة من المفترشين مكان الافتراش للتجارة وقضاء الوقت مع الاصدقاء والمعارف !

(٦) ويعترف المفترشون انهم يعانون بسبب الافتراش من مشاكل تعريض انفسهم لمشاكل صحية او للحريق او السرقة او تعرض نساءهم - ان كان معهم نساء - لأعين المارة وأوضحوا بأنهم لم يشعروا بالراحة في اماكن الافتراش . لكن وعلى الرغم من ذلك فأنهم بسبب اهدافهم قصيرة المدى في اداء حج بأقل تكلفة او مجرد التمكن من اداء الحج جعلهم يصبرون على كل ذلك .

(٧) هذا ولقد اتضح لنا ان عدد كبير منهم اوضحوا ترحيبهم بتوفير اماكن للسكنى زهيدة الثمن وعلى استعدادهم لدفع مبالغ لاتزيد عن خمسين ريال .

(٨) غالبية الحجاج المفترشين لايودون تكرار تجربتهم مرة اخرى ولاينصحون احدا من اصدقاءهم او معارفهم بالحج على طريقة الافتراش لما عاشوه من مشاكل معرضين انفسهم للمخاطر.

اقتراحات الدراسة :

(١) ستستمر ظاهرة الافتراش ، على مايبدو لنا ، لسنوات تالية ، ومن ثما نرى انه من الافضل ان تزود هذه المناطق بكافة الاشياء الضرورية لمواجهة الطوارئ مثل الحريق او الامن وخلافه عن طريق تمديد توصيلات المياه الى تلك المناطق بحيث لاتدعو الحاجة الى جلب سيارات الاطفاء ، الى تلك المنطقة أو المناطق ، حيث سيكون من المستحيل وصولها في حينه اليها نظرا لافتراش الحجاج الشوارع وسدهم لها. كذلك ينبغي ان تكون بالقرب من اماكن الافتراش بعض رجال الامن وبأعداد كافية لمساعدة المفترشين بقدر الامكان في حالة اضطراب او فوضى حتى لايقتل الحجاج بعضهم البعض بسبب الفوضى او الازدحام.

(٢) ولحل مشكلة الافتراش لابد من ايجاد اماكن جذب بديلة عن اماكن الافتراش وذلك بتحويل الخدمات والمرافق لها ، وتظليلها والدعاية لها حتى يتمكن المفترشون من التوجه اليها ٠ويقترح ان تكون بعضها في وادى منى والبعض الآخر في جبال مني ، بعد ان تتم بعض الترتيبات اللازمة وفى اضيق الحدود مثل عمل ممرات للمشاه للصعود الي الجبال ، هذا ويستحسن ابعاد الخدمات عن منطقة الجمرات،ونقصد بخدمات البيع والشراء والمياه ٠

(٣) لابد من وجود الشرطة والبلدية والجهات الاخرى ذات العلاقة في هذه المناطق التي يفرتشها الحجاج لتقديم التنظيم والمساعدة الضرورية للحجاج بما يكفل لهم السلامة والاستقرار ٠ فمنطقة الافتراش سواء منطقة كبرى الجمرات فى منى او منطقة الانفاق فى مكة ، على سبيل المثال ، بالصورة القائمة تعتبر مصدر كامن للخطر ، فهى في حالة الحريق أو انفجار انبوب غاز او غير ذلك ـ لاقدر الله ٠ تصبح مكان فى غاية الخطورة ٠ لذلك فان وجود رجال امن فى مثل هذه المناطق سيمكن من ضمان حد ادني من السلامة الضرورية ٠ هذا واذا لم يكن بدا من افتراش فئة من الحجاج فانه ربما كان من الضرورى توزيعهم وتنظيمهم بما يكفل الراحة والسلامة للجميع ٠

(٤) التفكير فى خطة طويلة المدى ايجاد اوقاف اسلامية او بيوت شبابية كبيرة ، حتى ولو كانت بعيدة نوعا ما عن الحرم فى مكة وفى مناطق الجبال فى منى تعمل خيام واسعة او بعض التجهيزات التى يمكن ان تجذب بعض الحجاج المفترشين٠

(٥) ربما كان من المستحسن التفكير في صد بعض رجال البوليس الحجاج من الافتراش فى الاماكن التى تسبب اعاقة وظيفية للشوارع